

التهافت على الكتابة للأطفال نشهد اليوم حركة مباركة ونشطة محلياً في مجال الكتابة للأطفال. فكي نخلق جيلا سويا معافى على جميع الأصعدة يجب فعلا أن نهتم به تربية وتنقيفاً وتعليماً. واضعاً أمام كتابنا وكتابتنا العديد من الإمكانيات لتنفيذ مثل هذا المشروع. إذ قبل حوالي السنة أقيم في هذه الكلية مركز يديره الدكتور نعيم عرايدة. وكان لعرايدة ولطاقم العاملين في المركز الفضل الكبير في تنشيط الحركة الأدبية للأطفال وذلك لوعيمهم التام بالنقص الشديد الموجود محلياً في هذا الإطار. وهو: هل ما كتب لغاية الآن عندنا من أدب للأطفال وهو لا بأس به عددياً، يرتفع إلى مستوى الكتابة الصحيحة الناضجة، يستمد هذا السؤال شرعيته من أمرين: الأول وجود عدد من الكتب التي صدرت للأطفال حالياً. نحن نجد فعلاً اليوم عدداً لا بأس به من القصص التي كتبتها أقلام محلية. ونظرة طائفة سريعة إلى معظم ما نشر من هذه القصص تشي بأن معظمها لم يوفق في الوصول إلى المستوى المطلوب. صحيح أن هذا الانتاج جاء ليسد فراغاً كبيراً، لذلك كتب على عجل، وصحيح أيضاً أن بعضه اصاب بعض التوفيق. لكن هناك العديد من الأشياء التي يمكن أن نقال في هذا المجال. أما بالنسبة للامر الثاني فقد بتنا نشهد اليوم تهافتاً من قبل الادباء المحليين على الكتابة للأطفال الأمر الذي يجعلنا نتساءل بصوت مرتفع: لماذا وما الدافع؟ وهل كل من يكتب للكبار يستطيع الكتابة للصغار أم أن الأمر يتطلب معرفة ودراسة ودراسة وتدريباً؟! عن هذه الاسئلة سنحاول أن نجيب في هذا المقال السريع. من هنا فان الكتابة للصغار ليست أمراً سهلاً كما يعتقد البعض. وحين أقول أن هذه الكتابة شاقة وعسيرة أقصد أن مثل هذه الكتابة لها أدواتها وشروطها وتعقيداتها، فإذا لم يكن الأديب قد وقف على كل ذلك قبل البدء، فهل وقف كتاب أدب الأطفال عندنا على كل ذلك؟ صحيح أننا بحاجة إلى مثل هذا الأدب، ولكن الحاجة لا تعني أن يدلي كل من يعرف الكتابة بدلوه فيه، وكي تكون الكتابة للأطفال ناضجة نافعة في أن معنا هناك العديد من الأمور التي يتحتم على الكاتب معرفتها، والتي يشكل جهله لها عائقاً أمام كتابته. والوقوف على مفهومه ومحتوياته. إذ أنه كما يعلم الجميع هو علم قائم بذاته يشمل جوانب كثيرة منها النفسية والتربوية والاجتماعية والفنية. فادب الأطفال كما يعرفه الباحثون: " خبرة لغوية في شكل فني يبدهه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة، بحيث يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وهناك من يقول: " أن ادب الأطفال شكل من اشكال التعبير الادبي، له قواعده ومناهجه سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموس الطفل ومع الحصيلة الاسلوبية للسن التي يؤلف لها أو ما يتصل بمضمونه ومناسبته لكل مرحلة، ويشعب الحاسة الفنية ويروي التطلع للتناسق والجمال ويقوي نواحي التفكير وروح المعرفة ويحدد المثل العليا للسلوك الانساني ويبني في داخل الطفل الانسان". لذلك تأتي اهمية الكتابة لهم بطريقة صحيحة، فهم بحاجة اليوم أكثر من ذي قبل إلى كاتب مبدع يخرج ما يكتبه من مادة الحياة نفسها، ومن مخزونها بعد أن يتفاعل بروحه وعواطفه. لكن الموهبة وحدها لا تكفي بل تحتاج إلى رصيد من التجارب والخبرات والمعرفة التي تصقلها وتدرّبها، لذلك نجاح كاتب الأطفال مرهون بمقومات عديدة يلخصها عدد من الباحثين بما يلي: بناء على ما تقدم تصبح غاية ادب الأطفال ليس اذكاء الخيال فقط ولكنها تتعداه إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية والنظم السياسية والتقاليد الاجتماعية والعواطف الدينية والوطنية وتوسيع قاموس اللغة عندهم ومدهم بعادة التفكير المنظم ووصلهم بركب الثقافة والحضارة من حولهم في اطار مشوق ممتع واسلوب سهل جميل. وهكذا يصبح ادب الأطفال وسيلة من وسائل التعليم والمشاركة والتسلية وسبيلاً إلى التعايش الانساني بطريق معرفة السلوك المحمود واداة لتكوين العواطف السليمة للأطفال واسلوباً يكشف به الطفل عن مواطن الصواب والخطأ في المجتمع. وهكذا أيضاً فإن مهمة الاديب الذي يلج حقل الكتابة للأطفال لا تقف عند العرض والكشف بل مهمته تقوية ايمان الطفل بكل الإيجابيات وحتى لا يخدع الطفل عليه أن يصور الخير والشر والظلم والاستغلال كما هي في المجتمع. وكل ما ذكر يؤدي إلى مقولة تقول: " أن أدب الأطفال ليس عرضاً للاخبار وليس للتسلية وقتل الوقت، وتنمية الاحساس بجمال الكلمة وقوة تأثيرها وفهم التطور البشري بطريقة أفضل والكشف عن سر الجمال والحقيقة وتهيئة الطفل بالتالي لان يقبل الحياة كما هي وان يعيشها إلى أبعد أعماقها. وإذا أضفنا قلة المرجعية العربية عامة والمحلية خاصة تزداد المشكلة تعقيداً وصعوبة. فهل ادباؤنا الذين ولجوا هذا الحقل تحقّقوا انفسهم ودربوها على هذه المعارف والمهارات؟ أم انهم زجوا بانفسهم عشوائياً في هذا الحقل الشائك والشائق معاً؟! فمن يقرأه - أغلبيته - ويتمعن فيه يجد أنه يقصر في جوانب عديدة أما فنياً أو تربوياً أو نفسياً، وهكذا بحيث يصبح من الصعوبة أن نعثر على عمل نقول معه أنه لقد استجاب هذا العمل لكل المتطلبات ناهيك عن عملية النقل والتلخيص التي تجري عن لغات أخرى أو عن كتب صدرت بالعربية في العالم العربي كما يرى بعض المطلعين على هذا الجانر. وأخيراً الحاجة ماسة لأدب أطفال محلي، فالمحفزات موجودة إلى ذلك، ولكن يبقى أن يتدرب كتابنا على الكتابة للأطفال، فعليهم أن يفهموا أن مثل هذه الكتابة كي تأتي ناضجة نافعة ناجحة عليها أن توضع على نار هادئة بعد التوقف باصولها والوقوف على شروطها واتقان أدواتها.